



مرور ٨٠٠ سنة على حج السلام الذي قام به القديس فرنسيس الى الشرق الاوسط

800 YEARS FROM THE PILGRIMAGE OF SAINT FRANCIS IN THE MIDDLE EAST



TERRA SANCTA ORGAN FESTIVAL 2019

12 November Damascus St. Antony | 16 November Aleppo St. Francis | 18 November Sacred Heart
ROBERT KOVÁCS (HUNGARY), organ

الذكرى المئوية الثامنة لحج السلام الذي قام به القديس فرنسيس إلى الأرض المقدسة

القديس فرنسيس بالموسيقى والصور

عزف ارتجالي على الأورغن حول مراحل من حياة القديس فرنسيس

مقاطع من الفيلم الصامت "أختي الشمس" (١٩١٨)

سيناريو من إعداد ماريو كورسي

إخراج أوغو فولينا

الترجمة واقتباس الفيلم: القدس ٢٠١٩



" روبرت كوفاتش " هو عازف الأورغن الرئيسي في "أوركسترا سيمفونية فيينا ١ Vienna Symphonic Orchestra، و"أوركسترا سيمفونية راديو فيينا Vienna Radio Symphony Orchestra و"أوركسترا فيلهارمونيك فيينا Vienna Philharmonic Orchestra من عام ٢٠٠٩ حتى عام ٢٠١٥ كان عازف أورغن الكاتدرائية في مدينة "أيزنشتات" في النمسا. درس في معهد بودابست الموسيقي بإشراف "أندريه فيراغ Endre Virágh" وأكمل دراسته في جامعة الموسيقى والفنون المسرحية في فيينا. حافظ بصفته عازف للأورغن ومدرّب للفرق الموسيقية ومغزّي فيها على ارتباط طويل مع "ستيفانسدوم Stephansdom" و"أوغستينركيرشي Augustinerkirche" وغيرها من المؤسسات الموسيقية البارزة في فيينا، كجوقة "أرنولد شونبيرغ Arnold Schoenberg Choir" وجوقة "غرفة فيينا Vienna Chamber Choir." وصل عام ٢٠٠٤ إلى الدور النهائي، وفي عام ٢٠٠٦ فاز بالجائزة الأولى للمسابقة الدولية للعزف الإرتجالي على الأورغن في هارليم في هولندا

العرض

هذه الحفلات الموسيقية هي جزء من الاحتفال الخاص بمناسبة الذكرى المئوية الثامنة لحج السلام الذي قام به القديس فرنسيس إلى الأرض المقدسة عام ١٢١٩. لهذا السبب يتميّز حفلنا الموسيقيّ هذا ببعض الشيء حيث سيتم عرض فيلم إيطالي صامت من العام ١٩١٨ يتناول حياة القديس فرنسيس، في الوقت الذي توفر فيه الموسيقى تعليقاً مباشراً حول مختلف مراحل حياته، كما سبق وحدث مع الأفلام الصامتة.

هذا الفيلم، الذي سيُعرض في نسخته المصغرة، يحمل اسم "أختي الشمس" وهو من كتابة ماريو كورسي وإخراج أوغو فولينا وإنتاج شركة تيسبي عام ١٩١٨.

هذا الفيلم الذي يفنقر إلى القدرة على استخدام الكلمات (فيما عدا الشرح المكتوب)، والذي يتضمن فناً سينمائياً لا يزال في طور البداية، يجد صعوبة في وصف روحانية القديس فرنسيس، إلا أنه يوضح بشكل جيد مراحل الحياة التي قامت ببلورة هذه الروحانية في فيلم كورسي وفالينا هذا، هو على الأغلب الفيلم الوحيد بين الأفلام التي تتناول حياة القديس فرنسيس، الذي يسلم الضوء على أكثر المراحل غموضاً. مصلوب كنيسة سان داميانو الذي يتحدث إليه وملاك الساروفيم الذي يطبع عليه علامات عذابات المسيح. أما مشهد اعتماد البابا إينوشينسيوس الثالث لقانون الرهبانية فهو نسخة أيقونية أمينة لتفاصيل جدارية الفنان جيوتو في بازيليك أسيزي. ويظهر المؤلفون معرفة مفاجئة بالمصادر الفرنسية-الفرنسية. كذلك ينال دور القديسة كلارا أهمية كبيرة: فهي التي تدفع فرنسيس نحو الأبرص مستعملة الكلمات ذاتها التي كتبها فرنسيس في وصيته لدى سرده قصة بداية رسالته. يتوقف المخرج في بعض الأحيان عند

بعض الجوانب الثانوية (قمنا من جانبنا بقص الكثير منها بهدف تقليص مدة العرض) أو المناظر الطبيعية (ممتازة هي اللقطات المأخوذة للمواقع الخارجية)، كما أنه يفترض امتلاك الجمهور معلومات أساسية حول سيرة فرنسيس. البيئة التاريخية ليست دائماً متطابقة (فعلى سبيل المثال لم يكن دير "لا فيرنا" موجوداً في الوقت الذي تلقى فيه فرنسيس جروحاً المسيح)، ولكن الفيلم مع ذلك قد تم إنتاجه بامتياز وحصل على نجاح كبير: فقد خصصت الصحافة الإيطالية التي لم تكن حينها مختصة بالسينما أعداءاً كاملة لفيلم "أختي الشمس" الذي أعدها أهم نقاد المسرح والموسيقى. نعم، حتى الموسيقى. فقد تضمن الفيلم لأول مرة في إيطاليا موسيقى تصويرية أدها أوركسترا وجوقة موسيقية مباشرة. تكمن الحداثة في حقيقة أنها قد كانت قطعة موسيقية كتبت صراحةً لفيلم صامت وتم دمجها في إنتاجه، وقد لحنها لوجي ماشينيللي خصيصاً للفيلم ولم يتم إضافتها في وقت لاحق (لهذا السبب يُذكر اسم الملحن في العناوين الأولية مع المؤلفين). فقد كان هذا تطوراً في القصيدة الموسيقية للصناعة السينمائية: نوعاً جديداً.

الحبكة

أسيزي (إيطاليا)، أوائل القرن الثالث عشر. يعود فرنسيس ابن النجر الغني إلى منزله بعد مشاركته في الحرب بين أسيزي وبيروجيا، إذ تم القبض عليه والزج به في السجن. في متجر والده يروي مغامراته. يقاطع القصة متسول يدفعه فرنسيس بعيداً بطريقة وقحة. كلارا حاضرة في المتجر أيضاً، إذ تقترب من فرنسيس لأن المتسول قد طلب صدقة باسم المسيح يسوع. يلحق فرنسيس بالرجل الفقير كي يتصدق عليه شاعراً بالندم. يعود فرنسيس إلى حياته الطبيعية ويقضي وقتاً ممتعاً برفقة أصدقائه ورفاق دربه بينما تصلي لأجله كلارا وأختها أغنيس.

يشعر فرنسيس بأن حياته على حافة التغيير، ويؤدي به الخلط في فهم إلهامه إلى الانخراط في حرب جديدة بهدف أن يصبح فارساً. بعد يومين من السفر، يصاب فرنسيس في سبيلته بحمى شديدة يفهمها على أنها علامة إلهية: فيترك الجيش ويرجع إلى أسيزي. وهكذا يبدأ التحول في طريقه إلى الأمام، وإن كان لا يزال يعتره الغموض وعدم الانتظام: يتصدق فرنسيس على الفقراء، ويشعر بالانزعاج بسبب نبوءة غريبة لرجل مجنون ينشر عباة أمامه على الطريق، ويتجنب رفة أصدقائه الفاسقين ثم يعود لينضم إليهم من جديد. ينتهي الحال بهذه الجماعة الطائشة إلى مبارزة بينهم: وكان فرنسيس المصدوم شاهداً على ذلك المشهد العنيف. تحت كلارا فرنسيس على مواجهة نفوره من الأبرص ويكتشف بأن ما كان يعتبره مشيناً أصبح له اليوم مصدر فرح وسرور داخلي. وفي حين ترفض كلارا عروض الزواج، يبدأ فرنسيس العيش في الفقر وينزل للصلاة. في أحد الأيام يظهر له مصلوب كنيسة سان داميانو المهجورة.

عبر هذه الإشارة يتأكد فرنسيس من دعوته، فيقاوم محاولات والده لإعادته إلى المنزل. يحاول والده مناشدة سلطة الأسقف إلا أن فرنسيس يتخلى علناً عن الممتلكات العائلية جميعاً مُعيداً إلى والده ملبسه أيضاً معلناً بذلك أنه سيخدم منذ هذه اللحظة "أبانا الذي في السماوات". فيقبل الأسقف دعوة فرنسيس.

ينضم بعض شباب أسيزي إلى فرنسيس في سعيه الروحاني ورغبته في عيش حياة الإنجيل حرياً. تلمس النعمة الإلهية كلارا يوم أحد الشعانين فتقرر تكريس نفسها لله لاتباع طريق الفقر الذي اختاره فرنسيس. فتهرب ليلاً من المنزل وتتجه نحو فرنسيس والرهبان الآخرين في كنيسة القديمة مريم. بعد الاحتفال بالتكريس، يعهد فرنسيس بكلارا لعناية الرهبانية البندكتينية منتظراً ترتيباً أكثر ملاءمة Portiuncula الملائكة المسماة البورتسيونكولا لرسالتها الجديدة (ستؤسس كلارا لاحقاً نظام الراهبات الفقيرات متبعة بذلك روحانية فرنسيس). يذهب فرنسيس برفقة بعض الرهبان إلى روما ليطلب موافقة البابا إينوشينسيوس الثالث على قانون الرهبانية الجديدة: يتمثل القانون في العيش بحسب إنجيل يسوع المسيح من خلال طاعة الكنيسة الكاثوليكية والعيش في العفة والتخلي عن الممتلكات. يوافق البابا على القانون. لدى عودتهم إلى أسيزي، يجد الرهبان بيتهم المتواضع مسكوناً فيستقرون بشكل نهائي في البورتسيونكولا. لا يشكل فرنسيس تهديداً لأي إنسان أو حيوان نتيجة موقفه المتواضع والمسالمة ففي غوبيو يروض فرنسيس ذنباً ويقوم سلطان مصر باستقباله ومعاملته باحترام. يعود فرنسيس إلى أسيزي ويعكف على الصلاة على ضفاف نهر ترازيمينو حيث يتحدث مع العصفير. يتلقى فرنسيس الجروح على جبل لا فيرنا، وهي علامات عذابات المسيح التي يطبعها ملاك من الساروفيم على جسده: أصبح فرنسيس الآن على توافق كامل مع يسوع المسيح. مجروحاً، يترك فرنسيس لا فيرنا ويكاد يفقد بصره بشكل كلي. على الرغم من مرضه وآلامه، ينشد فرنسيس "نشيد الشمس" الذي يستج فيه الله وجميع مخلوقاته. يخضع فرنسيس لعملية جراحية في أسيزي حيث يتم كيّ عينيه بالحديد الساخن: عندما يشعر بدنو أجله يتم اصطحابه إلى البورتسيونكولا حيث فارق الحياة يوم الرابع من أكتوبر/تشرين الأول عام 1226. تخرج كلارا من الدير لتودع فرنسيس الوداع الأخير. عام 1228 يعلن البابا غريغوريوس السادس فرنسيس قديساً. بعد ذلك بعامين، أي في العام 1230، تم نقل جثة القديس إلى البازيليك التي أقيمت على شرفه في أسيزي.

الفيلم وروحانية القديس فرنسيس

في العناوين الأولى، يتم تعريف الفيلم على أنه "نهضة فرنسيسكانية" في إشارة إلى البحث التاريخي الدقيق من قبل المؤلفين. ليست النهضة مصطلح يحدد نوعاً أدبياً للسينما كالكوميديا أو أفلام الأكشن أو الأفلام الغربية، إلخ. النهضة هي مصطلح يرجع إلى القديس فرنسيس الأمر الذي يفسر روحانيته، أي طريقة تفكيره وعيشه بمعنى آخر. تستلزم النهضة عدم تمكك الهدايا والنعم التي يقدمها لنا الله مثل هبة المحبة، بل مشاركتها مع الآخرين ونشرها من حولنا. هذه آلية يعرفها المُحبون جيداً: أولئك الذين يشعرون بحب الآخرين لهم يدفعهم ذلك بالمقابل إلى حب الناس، أي مشاركة الحب ونشره. فقد أعطى كل شيء لنا ابتداءً بالحياة ذاتها، دون استحقاق من جانبنا، لذلك ليس بإمكاننا إعاقه دورة الحب هذه بالاستيلاء عليها. تعيد النهضة تشغيل آلية الحب الإلهي التي يعيقها الإنسان بالاستيلاء عليها، مما يجعل ما كان مقدراً للآخرين ملكاً له وحده كالأرض والماء والطبيعة وحتى التفوق على الرجال الآخرين لمصالحه الخاصة وأفكاره الخاصة. إذا بدأنا بالتفكير والاقتناع بأن ما نملكه ليس لنا، عندئذ سنكون أكثر تسامحاً مع الآخرين. إذا كان لا شيء ينتمي لنا، فلا شيء ندافع عنه ولا شيء نشن الحروب من أجله، لا الممتلكات ولا الأفكار. إذا لم تكن الطبيعة ملكنا فلا نمتلك الحق في تدميرها. لم يكن فرنسيس مشهوراً لمعجزاته بل لأنه تمكن من العيش دون أن يشكل خطراً على الآخرين، لا الإنسان ولا الحيوان ولا الطبيعة لهذا السبب ذاته لم يكن الناس ولا الحيوانات يخشونه: فقد اقتربت الطيور منه وحتى الذئاب. كان فرنسيس منفتحاً على الحوار بأسلوب يطغى عليه الاحترام، احترام اعتاد أن يعطيه ويتلقاه، كما حدث في لقائه مع سلطان مصر المسلم. إذا كان لدينا إله واحد، الله الذي يمنحنا كل الخير، فنحن كلنا إخوة. لهذا السبب كان فرنسيس يدعو كل المخلوقات "أخي" و"أختي"، كما هو الحال في النشيد المشهور "أختي الشمس" الذي منه استقى المخرج اسم هذا الفيلم وغيره من الأفلام التي تتناول حياة القديس فرنسيس (مثل النسخة لشهيرة التي أخرجها فرانكو زيفيريللي على سبيل المثال).